الهوية الذاتية للمرأة المسلمة

الدكتورة نعمت حافظ البرزنجي

جامعة كورنيل
إثيكا - نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية

قدم للنشر في كتاب
المرأة وتحولات عصر جديد

يضم هذا البحث تحليلاً بيداغوجيا وتركيباً تاريخياً لواقع المرأة العربية والمسلمة التربوي , ويشرح كيف أبعدت النساء المسلمات الأوائل, و النساء المسلمات حاليًا, من عملية تفسير النصوص القرآنية رغم أن الكثير من هذه النصوص أفترض بها أن تحول العلاقات بين الجنسين في المجتمعات المسلمة لتحقيق العدل والمساواة بين الذكر والأنثى . على سبيل المثال ، لماذا لم تدخل عائشة وحفصة رضي الله عنهما مصاف مفسري القرآن ، ولا نجد تفسيراً مخطوطاً أم مكتوباً يعزى إليهن رغم أن الأولى، عائشة، عاصرت نزول القرآن وتجسيد الرسول /ص / لتوجيهاته في حياته اليومية والسياسية، ورغم أن الثانية، حفصة، كانت من أوائل قراء وحفاظ القرآن وكانت قراءتها معتمدة في جمع القرآن وتدقيق ألفاظه ، ولماذا وضعت هاتين المرأتين في الصفوف الخلفية للصحابة الأوائل عندما حصل التصويت على الخليفة الأول بعد النبي /ص/. السبب برأي أنهما لم تعتبرا المرجع الثقة رغم تعدد استشارتهما وخاصة في الحديث لأنهن نسوة، فحتى المسلمون الأوائل لم يتخلصوا من مشكلة الذكورية ، تحت الضغط الاجتماعي القبلي القائم حين ذلك وما زال.

إنني وإذ أقدم حصيلة مشروع بحث دام أكثر من عشر سنوات في الوضع الفكري والتربوي المؤلم لغالبية النساء المسلمات فإنني لا أنغمس في الجدل التاريخي الفاصل بين الدين والفلسفة ،

أو بين العلم والمتعلم ، أو بين المثال والتطبيق . كما أنني لا أعتبر بحثي هذا نوعاً من الجدل الحالي القائم بين الاحتفاظ بالأصول المحلية والانفتاح للعولمة وليس المقصود به ما يعرف الآن " بالحركة النسوية المسلمة " . يرتكز بحثي على فلسفة المعرفة، المعرفة الإسلامية وسياسة المعرفة المحور الأساسي في تحليل قضية المرأة ضمن مبدأ العدالة الإسلامي.

هناك العديد من العوامل التي أثرت في أولويات ومدى معرفة المرأة المسلمة للإسلام وقدرتها على إثبات هويتها الذاتية، حيث نلاحظ على سبيل المثال في المجتمع السوري ذي الهيمنة الإسلامية أنه حتى لو كانت مجموعة النساء الدمشقيات اللواتي أتحاور معهن منذ عام 1995تركز على التعلم الجماعي غير الرسمي وعلى أنشطة الخدمة الاجتماعية ، فإن وجهات نظر مختلفة عن الإسلام والمرأة المسلمة، سواء من داخل أو خارج المجتمع السوري، تؤثر في عملية صنع القرار لدى هذه المجموعة (نعمت حافظ برزنجي، 1999) . رغم أن قرارات المجموعة قد تتراوح من تحديد الغايات الجماعية إلى الانتماء الذاتي للإسلام لدى كل عضوة من أعضاء المجموعة، فإن عملية تفسير القرآن كجزء من نشاط هذه المجموعة يتأثر بشكل شعوري أو لا شعوري بكل ما يدور حولها من شؤون تتعلق بسوريه سواء كانت محلية ، أو إقليمية ، أو عالمية . فإنه من الصعب حدوث مداولة فكرية حول أية قضية تربوية/ثقافية/حضارية في سوريا ، أو في أي دولة في الشرق الوسط ، وفي الدول الإسلامية بصورة عامة ، دون إدخال تمثيل شامل ومعمم للمفاهيم والشعائر الدينية والحضارية الإسلامية الذي غالباً ما يكون متأثراً بالتصورات السياسية العالمية السائدة . رغم كل هذه التصورات، فإنه لم تقم هناك أية محاولات لدراسة وتقديم المفاهيم الإسلامية والأسس التربوية للإسلام لتعريف الذات الفردية الإسلامية وبالتالي إدراك الذات والشخصية الإسلامية المستقلة كعنصر فعال في عملية صنع القرار الذاتي ذو السمات المدنية والدينية معاً والذي يؤثر في حياة الفرد والمجتمع .

إن غايتي هي دمج هذه المفاهيم والربط بينها لأقدم تحول جذري في معالجة الفكر الإسلامي ونقل مسألة المرأة من منظور المساواة بين الجنسين ضمن أو خارج المفهوم الديني إلى منظور الهوية الذاتية للمرأة بالقرآن . هذا المنظور يركز على إنسانية المرأة وعلى استقلالها الفكري والخلقي في قراءة وتفسير القرآن كحق وكوسيلة لتحقيق ذاتها . وهذا المنظور يركز أيضاً على قدرة المرأة لحمل مسوْؤلية الخلافة في الإسلام كمنظور للحياة والفكر . وبما أنني باحثة ومربية أعتمد طريقة المشاركة الفعالة Participatary Action Research(PAR) فإن عملي مع هذه المجموعة ، وتقريري هذا عن المجموعة يتضمن المناقشة حول تغيير المنظور الخطابي لفهم هذه الحركة النسائية لبناء الديمقراطية الذاتية ضمن المفهوم الإسلامي ، ولتغيير فلسفة المعرفة التي تنطلق منها دراسات المرأة ضمن دراسات الشرق الأوسط أو دراسات المجتمعات المسلمة بصورة عامة.

لقد اعتمد المنظور التقليدي السائد للإسلام على سرد المثاليات في تدريب المرأة المسلمة لدورها المكمل للرجل . هذا المنظور يتناقض مع المبادئ القرآنية في العدل والاستقلال الذاتي الخلقي . كذلك فإن واقع المجتمعات المسلمة يبين أن المرأة لاتثقف حتى لهذا الدور المكمل المفترض ، أي لتربية وتوجيه أجيال مسلمة متكاملة الشخصية تستطيع أن توازن بين الأصول والأعراف المحلية، والمنظور الإسلامي، والمفاهيم العالمية . وبذات الوقت يركز منظور تطوير المرأة القادم من خارج المنظور الإسلامي، وخاصة من الغرب، على تحرر المرأة وتفاعلها مع مفاهيم خارجة عن حضارتها وثقافتها ، وبالتالي يقدم حلولاً جزئية ومؤقتة لاتبحث في الأسباب الجوهرية لموضوع عدم مساواة المرأة بالرجل للوصول إلى العدل .

لحصول المرأة المسلمة على المساواة والعدالة فإنها تحتاج إلى التواصل المباشر ، والمعرفة السامية العميقة للقرآن والعمل الخلقي الفعال المستقل ، الخال من أي وسيط أو وساطة دينية أو أسرية . ودليل على ذلك أقدم نتائج أولية لبحث ميداني ساهمت به

بعض المسلمات الدمشقيات اللواتي أخذن على عاتقهن عملية التواصل المباشر مع القرآن ، ونتج من ذلك أنهن قد غيرن مجرى علاقاتهن الأسرية والاجتماعية من التقليد إلى المنهج الإسلامي بنفاذ البصيرة ، وانتقلن من الاقتصار على التلقين الديني إلى الحوار العالمي للقرآن.

إذا أخذنا بعين الاعتبار المبدأ الأساسي في الإسلام لتهذيب النفس في إثبات الذات على أنها ليست وضيعة ولا متعالية على أية هوية إنسانية أخرى ، فإن مجموعة النساء هذه تعتبر المسؤولية الفردية الاستقلالية محوراً مركزياً لعملية التعلم الإسلامي الديني – السياسي ، وقد فسرت المجموعة هذا المبدأ على أنه المعرفة المباشرة للإسلام من المصادر الأولية للإسلام . فالمعرفة الحقيقية المباشرة والعميقة لتلك المصادر (القرآن الكريم والأحاديث النبوية) التي تحوي استقراء وتطبيق المبادئ القرآنية من قبل الرسول محمد /ص/ في السياق الاجتماعي القائم حين ذلك تعتبر على أنها الوسيلة الوحيدة للتحرر . والمقصود بالتحرر هو تخليص الذات من المفاهيم المتناقضة التي توجه المخططات والتوجهات التقليدية التي تبدو وكأنها تتصارع مع التوجهات الليبرالية التي لا حدود فيها (نعمت حافظ برزنجي 1998) . فالاهتمام الأولي لهذه المجموعة هو فهم الحياة مباشرة من خلال القرآن ، معتمدة عضواتها على استراتيجية قراءة القرآن والعمل به وتطبيقه في الأمور اليومية (نعمت حافظ برزنجي 1999) . ولكن عملية اتخاذ القرار المشارك في هذه المجموعة كانت وحتى عام 1997 محدودة بالتفسيرات الذكورية التقليدية (أقصد بالتقليدية أن التفسيرات أخذت الصفة المطلقة للمبادئ) للنصوص الإسلامية المتعلقة بدور الفرد في البنية السياسية – الدينية – الاجتماعية للأسرة والمجتمع . أما الآن فوجدت إن عملي مع هذه المجموعة الذي كان غايته تيسير الأخذ بهذا المبدأ الأساسي لتهذيب النفس الإسلامي للهوية الذاتية قد اتخذ خطوة أخرى إلى الأمام لمتابعة طريق التعرف على الذات وإثبات الهوية الإسلامية ضمن مفهوم العدالة بين الجنسين عن طريق الحوار

الفكر العالمي . ومفهوم تهذيب النفس الإسلامي الذي يدعو كلاً من الجنسين لقراءة القرآن والاستماع بإنصات إلى ما يقوله القرآن [(القرآن في اللغة العربية معناه القراءة والتمعن في الكلمات والمفاهيم) وهدف القرآن ، كما يقترح فضل الرحمن (1980)]كوثيقة موجهة للإنسان ، هو قيادة النفس البشرية لتصبح كائناً أفضل وأكثر فعالية. ولتحقيق غاية الوجود الإنساني كخليفة ، فإن للمرأة المسلمة أن تتمتع بالإلمام بأقل ما يمكن من معرفة لنظام الإسلام ونهجه (نعمت حافظ برزنجي 1996) قبل أن تتمكن من تفعيل مبدأ الإيمان " لا إله إلا الله " . فإنه يجب أن يكون لديها القدرة للوصول إلى التعلم السامي للإسلام كوسيلة لإثبات ذاتها . وهذا لا يعني فقط توفر التعليم العالي الديني أو العلماني ، بل المقصود هو المعرفة والتواصل المباشر مع القرآن التي تتطلب إيجاد علاقة عقلانية واعية لتطوير الخلق الإسلامي الفعال . وحيث أن الإسلام يركز على الاستقلالية الذاتية في قراءة وفهم وتطبيق القرآن ضمن معانيه الشاملة ، فإنه يؤكد على الهوية الذاتية ضمن المفهوم القرآني .

على سبيل المثال،في عام 1995 سألتُ بعض النساء الدمشقيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين (20-60 عاماً) واللواتي تتدارس القرآن في إحدى الجوامع أن تكون متهيأة في الاجتماع التالي لسرد أهم تجربة مرت بها في التعامل مع " مفهوم التقوى " ، استجابت إحداهن ، وكانت في الستين من عمرها ، بالقيام بعمل بحث كامل للسياقات المختلفة للتقوى في القرآن ، قائلة : "وجدت أن تطبيقي سيكون أفضل إذ بدأت بتعلم كافة السياقات التي أتت بها هذه الكلمة "، ثم سلمتني قائمة عملتها بنفسها عن ذلك؛ وباعتبار أنني شرحت المفارقات في فهم معنى التقوى بمقالي " تعريف الذات كشكل من أشكال بناء الديمقراطية : التجربة السورية" (نعمت حافظ برزنجي، 1999b) فإنني لن أستسرد في هذا المعنى الآن .

وخلال إقامتي بدمشق قمت بعدة زيارات لنفس المجموعة خلال ربيع عام 2002، لاحظت ازدياد عدد الشابات ذوات الأعمار التي

تقل عن العشرين ،رغم وجود عدد لا بأس به من العضوات القدماء اللواتي تحاورت معهن خلال الأعوام(95 – 96-1997). وعندما سألت الشابات "ما الذي يدفعكن للقدوم إلى هذه الحلقة " أجبن كالتالي :

- لا مثاليات في مجموعتنا ، الكل يطبق .
- أنا أشعر بالانفتاح والسرور ، أرى أن الجلسة متميزة بالحوار والمبادئ والأهداف السامية .
- أرى الانطلاق مع الآخرين ، والجرأة في التعامل وإبداء الرأي ، ولا امتيازات لأحد .
- عظم المسؤولية التي ألقاها الله علينا . هذه أفكار جديدة على المجتمع ، والفكرة الجديدة تقلق .
- احترام العقل ، الآيات ، آيات الآفاق ومقاصد الشريعة ، نكتشفها الآن وتساعدنا في حل المشاكل . وفي استنباط الحلول .
- أبحث عن مكان لفهم القرآن ، وأشعر براحة نفسية هنا .
- زوجي شجعني على الصلاة بالجامع ، إذ أنه يعمل بالمبدأ " الدين الوصية " ووصيتي هي التعامل مع القرآن وازدياد علمي به ثم الإفادة منه .

لقد ذكرني قولها هذا بمقال كتبته في عام 1989 ولكن لم ينشر حتى عام 1996 وترجم للعربية عام 1999 تحت الكتاب الذي نشرته دار الفكر بعنوان " الكيان الإسلامي والنضال من أجل العدالة " عن العلاقة بين تصورات مفهوم الخلافة والعدالة بين الجنسين حللت به كيف بدأ ظلم المرأة في المجتمعات المسلمة عندما أبعدت عن حضور صلاة الجمعة بحجة أن صلاة الجمعة ليست واجبة على المرأة ، ثم ربطت هذا الإبعاد بغياب المرأة عن اتخاذ دورها في صنع القرار الجماعي وبالتالي سلبها من حقها كخليفة الله على الأرض ومن تكليفها كوصية وكشاهدة .

وكان لرد إحداهن : " إن المرأة لا تعرف حقوقها ، ونحن نتدارس القرآن لنتعرف على حقوقنا " وقع كبير علي ،

فطرحت عليهن في اللقاء التالي الأسئلة التالية طالبة من كل واحدة أن تجيب على بطاقة بمفردها .

- ما هي حقوق المرأة الأساسية ؟ وكيف ندافع عنها واقعياً ؟ وكيف نعبر عنها في محيط يعتبر أحياناً صوت المرأة عورة ؟ كانت أكثر الإجابات على السؤال الأول مركزة على العلم ، والتعليم ، والتعلم ، والمعرفة . وبعد أن سردت لهن حصيلة إجاباتهن تحاورنا في معنى العلم ونوعيته ، فكان هناك نوع من الإجماع على أهمية المعرفة بمقاصد الشريعة . لكن الخلاف حصل عندما تعمقنا في تفهم العلاقة بين مقاصد الشريعة والعلم والتطبيق . حيث أن البعض وجد أن مقاصد الشريعة هي العلم بحد ذاته، بينما وجد البعض الآخر أن مقاصد الشريعة هي الوسيلة للوصول إلى المعرفة والعلم .

وعندما أضفت إلى لائحة المفاهيم التي وضعناها على اللوح كلمة "التطبيق " أخذ الحوار مجراً جديداً . وتمكنت أن استخلص من هذا الحوار أن كلا الطرفان ، رغم اختلاف استنتاجاتهما ورغم تفاوت إمكانياتهن الثقافية ونوع الشهادات العلمية التي تحملنها، يقوم أو يحاول القيام بالتواصل المباشر مع القرآن للوصول إلى المعرفة السامية للقرآن والعمل الخلقي الفعال المستقل. والدليل على ذلك هو معالجتهن لموضوع حق المرأة في وضع الشروط التي تراها في عقد زواجها ، رغم الملابسات الاجتماعية الصعبة التي تواجهها أو التجارب التي خبرتها البعض . فعندما طرحت إحداهن واسمها سميرة ، على سبيل المثال ، خبرتها أمام الجميع ، احتد النقاش حول تظلم الزوج و المجتمع رغم وجود عقد قانوني تشترط به حقها بالطلاق عندما تطلبه . حيث أن زوجها بعد أن طلقته رفض إعطاءها الطلاق البائن ، وطلب منها العودة إلى عصمته ، فأضطرت إلى الدخول في معركة المخالعة.

هذه الحوارات وغيرها التي لا يمكن سردها كلها هنا تدل على تغير جذري في طبيعة تفكير المرأة المسلمة في هذه

المجموعة . إذ انتقلت من الفرد التابع إلى الإنسانة المفكرة الواعية لتكليفها بالخلافة . وبالتالي أصبحت واثقة بنفسها وبمكانتها لدرجة أنها قامت بتغيير مجرى العلاقات الزوجية وعقد الزواج حسب الشروط القرآنية ودون أن تنتظر المجتمع لأن يغير منظوره أو المشرع ليسن القوانين التي تخولها بصك عقد الزواج كما يحق لها أصلاً في القرآن .

ذلك أن الفرد سواء كان ذكراً أو أنثى حتى وأن ولد في أسرة مسلمة عليه أن يعي بشكل كامل قبول أو رفض الإسلام كنظام عقائدي متكامل ، وبالتالي يقبل أو يرفض مسؤولية حمل الأمانة (الخلافة) كمتطلب أولي ليكون مسلماً عن وعي أو بحق .

ولتسهيل عملية التقدم لهذه الحركات النسائية والتخلص من الاعتماد الكلي على تفاسير المصادر الأولية للإسلام التي هيمنت عليها المفاهيم الذكورية ، فإنه ينبغي أن نجعل مبدأ حمل الأمانة (سورة البقرة : آية 30) واضحاً عن طريق التعلم الإسلامي السامي . فالمسلمة ، أو أي فرد مسلم ، لا يمكن أن تتفهم الأصول والفعاليات التربوية لمبدأ حمل الأمانة ما لم تكون قادرة على اختيار الإسلام واستيعاب مفاهيمه الشاملة على انه نظرة متكاملة للحياة ، وأن تعمل على تطبيق هذا الخيار بوعي مقصود وباستقلالية ذاتية متكاملة. على سبيل المثال ، المرأة التي تردد آيات من القرآن عشرات المرات في الصلوات اليومية دون ربطها ببعضها البعض وبأهميتها في تحديد المفهوم القرآني لعلاقة الإنسان مع الله ومع الآخرين ، لا يمكن لها أن تحقق هويتها الإسلامية بذاتها . فالسلوكيات العامة أو قواعد الأخلاق الجماعية التي تفسر بالوكالة (أي تمثل بممارسات اجتماعية سائدة) لا تحل محل الخلق النابع من الذات والفضيلة الفردية المستقلة . وعلى الرغم من أن السلوكيات العامة هي السائدة في المجتمعات المسلمة فإن كونها مؤسسة على مبدأ الخلق بالوكالة (نتيجة الضغط الاجتماعي فقط) وعلى ادعاءات علوية للرجل وانه الوكيل على عفة المرأة وخلقها ، فإن تأثير هذه السلوكيات أصبح ضئيلاً ومضللاً . إذ أن الأخلاق الجماعية أو الخلق الذي يفرضه

المجتمع باسم الصالح العام هي أعراف مركزية للحكم السياسي والقيادي ، ولكنها لا تأخذ الدور الأولي للخلق الواعي الفردي كنوع من الحكم الذاتي . ورغم أن المضمون العام للقرآن والحديث النبوي الشريف يحدد أولوية الصالح العام على الحقوق الفردية حين يكون هناك تضارب مصالح ، مع ذلك فإن المرأة المسلمة الواعية للمبادئ الإسلامية الأساسية بإمكانها أن تدافع عن حقوقها الذاتية ضد التفسيرات والتأويلات الاجتماعية الظالمة .

ويهدف تحليلي هذا للتعلم الذاتي وحكم النفس أو السيطرة الذاتية ضمن هذه المجموعة من النساء لتقديم نموذجاً عن بناء الديمقراطية الذي تقوم به النساء السوريات اللواتي يهدفن لتأكيد فعالية المرأة المسلمة ودورها الإيجابي . رغم أن المجموعة نفسها لربما لا تسمي عملها بالديمقراطية أو كحركة للحصول على المساواة بين الجنسين ، فإن هذه الحركة قد توصلت وقادت حضوراً فكرياً ومدنياً فعالين بالرغم من المعوقات التاريخية والاجتماعية التي وجدت وتوجد في المجتمع السوري ، كما عليه الحال أيضاً في المجتمعات العربية والمسلمة الأخرى . وليست بنيتي مقارنة هذه الحركة النسائية الذاتية مع حركات أخرى داخل أو خارج سوريا ، وإنما نيتي هي تغيير المفهوم الشائع الذي يصور غياب المرأة المسلمة من الأمكنة العامة على انه مؤشر للتبعية الكاملة أو الظلم الشاسع . إن التيارات الرئيسية في الدراسات الغربية التي تهتم بالديمقراطية ، أو بالمجتمع السوري ، أو بالمرأة العربية المسلمة عامة ، قد غابت عنها مثل هذه الأنواع من المجموعات والحركات لأن الأخيرة لا ترتبط بمراكز القوى السياسية . لكننا بإمكاننا تغيير المجرى الخطابي لمناقشة هذا الموضوع باستعمال مفهومين أساسيين وثيقي الصلة بفهم الديناميكية التربوية الإسلامية على أنها عملية ديمقراطية بحد ذاتها . هذان المفهومان هما : أولاً ، إن حرية التعبير الفردية تمتد إلى حد المسؤولية في رفض أي قواعد صنعها الإنسان فيما إذا تضاربت مع التوجهات القرآنية ، وذلك حالما يختار الفرد المنظور الإسلامي ويتفهمه بشكل واع . والمفهوم الثاني هو أن الحكم

الذاتي لدى مجموعة أو شعب ما يتم عن طريق التشاور المتبادل ويتم تصميمه وقراره بإجماع المجموعة أو الشعب .

على سبيل المثال عندما سألت بعضاً من تلك النسوة التي تجتمع أيضاً في حلقة شهرية لتدارس بعض الكتب المحلية والعالمية ، " لماذا تشعرن بأن الكتاب يساعد في نمو معرفتكن ، وكيف استطعتن نقل بعض هذه المفاهيم بالتطبيق ؟ وجدت أن إجاباتهن تتركز في أربع محاور واقعية :

1- تحولت العلاقة بين الأم وابنتها أو الأستاذة وطالبتها من تلك التي تتركز على الفصل بين الجيلين إلى الرابطة الفكرية الموحدة .
2- تحولت العلاقة بين الحماة وكنتها من علاقة النظير الضد إلى علاقة التبادل الفكري والتعاون على تربية الجيل الثالث .
3- تحولت العلاقة بين الابنة وأبيها العالم أو المفكر . من تلك الفتاة التي تطيع وتتبع أفكار وآراء أبيها ، إلى تلك الانسانة الناقدة .
4- تحولت العلاقة بين القارئة والكاتب من التلقي ، إلى كون القارئة جزءاً من عملية صياغة الأفكار، وكتابتها، ونشرها، بالإضافة إلى قدرتها على التواصل مع الآخرين وتطبيق هذه الأفكار والاستنتاجات في واقع العلاقات الاجتماعية .

ولكن هناك تغير أوسع لفت نظري منذ زيارتي الأولى لهذه المجموعة في عام / 1995/ ذلك أن بعض أفراد هذه المجموعة القدماء قد وصلن إلى قناعة في تغيير منحى المناقشات الفكرية التي تعقد لتدارس القرآن أو لقراءة ومناقشة بعض الكتب المحلية والعالمية فانتقلت من حصر الحلقة على الجنس الواحد إلى فتحها لمن يريد المساهمة من الجنسين . والسبب الرئيسي كما قالت إحداهن " إن الله هو ربي " بمعنى أن كل التفسيرات والعادات الاجتماعية

القائمة على الفصل الكامل بين الجنسين لا تعتبر هي الكلمة الأخيرة في مقاصد الشريعة . بل على العكس ، إن عدم السماح بالتواصل الفكري بين الذكور والإناث يؤدي إلى بذر شكوك في نيات كل منهما ، بالإضافة إلى إبعاد المرأة عن دخولها إلى مجال الحوار والفكر القرآني بصورة خاصة .
ولكن رغم قناعة بعض الموجهين والموجهات ،الذين يتابعون عملية تدارس القرآن منذ /35/ سنة، في أن السبب في قبول تواصل الجنسين في حلقة فكرية معينة هو " التطور الفكري والحاجة لذلك التواصل ، حيث أن التعمق في الإسلام يبين أن الإسلام لا يدعو إلى الانشقاق بين الجنسين " ،كان بعض الشبيبة الذين حضروا جلسة يتناقش بها الذكور ولإناث ، يقول أنهم يتفقون فقط بنسبة 85% مع مفهوم الاختلاط في المجلس . يا سبحان الله ، وكأن القناعة الفكرية أصبحت مجزأة بنسب معينة ، لقد وصل الضغط الاجتماعي إلى حد أن الشاب أو الشابة لم يعد لديهم الجرأة الأدبية الكاملة للتصريح بقبول أو عدم قبول فكرة معينة ، وبصورة خاصة عندما ترتبط هذه الفكرة بالمفاهيم القرآنية أو الممارسات الدينية .
إذن ما علاقة هذه الأحداث والحوارات بموضوع الأسبوع الثقافي لدار الفكر ،وموضوع الهوية الذاتية للمرأة المسلمة بالقرآن ، ثم كيف نربط هذه المفاهيم القرآنية مع الأعراف المحلية من جهة والعالمية من جهة أخرى ؟ .
لقد تحدثت سابقاً (في مقالي الذي نشر في كتاب Windows of Faith (2000) الذي ترجمته دار الفكر – دعونا نتكلم 2002) عن أهمية تحصيل التعلّم الإسلامي السامي لتحرر المرأة ذاتها ، بمعنى أن تحقق ذاتها كخليفة أو وصيه دون النظر إلى النوعية الجنسية ، إذ أن هذه الوصاية هي أمر ديني أو جهد كامن للوجود البشري ، وبالتالي تحقيق هوية المرأة الذاتية لا يتم إلا بقدرتها على التواصل المباشر مع مفهوم القرآن للإنسانية ، وهذا

التواصل لا يتم ما لم تدخل بنفسها في عملية تفسير القرآن وبشكل جوهري ليكون لها دور في صنع القرار الاجتماعي والسياسي . والدخول في تفسير القرآن لا يتم ما لم تحافظ المرأة على فعالية " أصول تدريس الإسلام " يليه تغيير وتحول جذري في معالجة ما يسمى "بالدراسات الإسلامية "، سواء كان منها التقليدي ، المتعارف عليه في المجتمعات المسلمة أو الاستشراقي المحدث .

والأمل من هذا التغيير أنه سيتبعه تحول في الفكر الإسلامي، من تعداد المثاليات إلى معالجة الواقع والقبول بالفجوة القائمة بين المثل الإسلامية وتطبيقاتها في المجتمعات المسلمة . وكذلك فإن الفكر المتحرر، وخاصة بالنهجين الغربي والعلماني الذين يرتكزان على منظور أن تطوير المرأة المسلمة لا يتم إلا بخروجها من المنظور الإسلامي عوضاً عن خروجها من منظورها المسلم التقليدي سيضطرا إلى تغيير منحاهما من تقديم الحلول الجزئية ، التي غالباً لا علاقة لها بالمنظور الإسلامي ، إلى النظرة العميقة لمسائل المرأة المسلمة والعربية التي تعتمد تفهم مقاصد الشريعة وسياقها في المحيط العربي المسلم من قبل المرأة ذاتها .

هذا يعني إعادة النظر بنظريات الجنس والمساواة المطلقة ، وتفهم علاقتها بالأعراف المحلية التي قد تتفاعل أو لا تتفاعل مع المفاهيم الإسلامية ، أو قد لا تجسدها أبداً ، وكذلك إعادة النظر بعلوم الشريعة التي تجمدت وجمدت المفاهيم القرأنية، ثم الموازنة بين كل هذه المفاهيم والمفاهيم العالمية الحالية، كمفهوم حقوق الإنسان . وهذا التوازن لا يمكن أن يتم ما لم يتم التعلم السامي للإسلام ، أي الربط بين مقاصد الشريعة وعلوم الشريعة، أو بين المعارف التصريحية (المثالية) والمعارف الإجرائية (وسائل التطبيق) (نعمت حافظ برزنجي،a 1999) . وهذا الربط هو ما أسميه التربية الإسلامية ، التي يكون هدفها الأول

ونتيجتها الحتمية العمل الخلقي الفعال والذي يوصل إلى تغيير مابالنفس أوَلا ، ثم إلى تغيير ما بالقوم .

مراجع

جزيلة ويب(محررة). 2002. دعونا نتكلم: مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير. ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي، مراجعة: نعمت حافظ البرزنجي. دمشق: دار الفكر.

نعمت حافظ البرزنجي(محررة). 1999. الكيان الإسلامي والنضال من أجل العدالة. نقله إلى العربية: أنس الرفاعي. دمشق: دار الفكر.

Barazangi, Nimat Hafez. 2000. Muslim Women's Islamic Higher Learning as a Hum Right: Theory and Practice in Windows of Faith: Muslim Women's Scholar-Activists in North America. Edited by Gisela Webb. Syracuse: Syracuse University Press (2000), 22-47.

Barazangi, Nimat Hafez. 1999a. Arabic Self-Learning: A Module of A Research-Based Computerized Curriculum in Al-Arabiyya. A Journal of the American Association of Teachers of Arabic (Winter, 1999), 32: 23-65.

Barazangi, Nimat Hafez. 1999b. Self-Identity as a Form of Democratization: The Syrian Experience. in Democratization and Women's Grassroots Movements. Edited by Jill M. Bystydzienski and Joti Sekhon Bloomington: Indiana University Press (1999), 129-149

Barazangi, Nimat Hafez. 1998. The Equilibrium of Islamic Education: Has Muslim women's Education Preserved the Religion? Religion And Education, 25, 1 & 2, Winter 1998, 5-19.

Barazangi, Nimat Hafez. 1997. Muslim Women's Islamic Higher Learning as a Human Right: The Action Plan. in Muslim Women and the Politics of Participation: Beijing Platform. Edited by Mahnaz Afkhami and Erika Friedl. Syracuse: Syracuse University Press, (1997), 43-57.

Barazangi, Nimat Hafez. 1996. Vicegerency and Gender Justice in Islam. In Nimat Hafez Barazangi, M. Raquibuz Zaman, Omar Afzal, eds. Islamic Identity and the Struggle for Justice, The University Press of Florida.1996.

Barazangi, Nimat Hafez . 1995. Educational Reform and Religious Education in (1995) Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World. Oxford University Press, New York, Volume I: pp. 407-420.